القرآن

القرآن هو كتاب الله المقروء والكون هو كتاب الله المنظور وكلاهما من المعجزات.

* فانظر إلى السماء وتأملها هل ترى عيبا أو خللاً. وكرر النظر إليها فستعجز أن ترى فيها عيبًا أو خللا. فهى من خلق الرحمن وليس فى خلق الرحمن تفاوت ولا نقص ولا عيب ولا خلل.

يقول الله تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك: ٣، ٤].

* كذلك القرآن أنزله الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربى مبين ليس فيه اعوجاج ولا زيغ ولا لبس ولا انحراف بل جعله الله مستقيمًا يهدى إلى صراط مستقيم. فلا شك أنه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولو كان مفتعلاً مختلقًا لوجد فيه اختلاف واضطراب وزيغ واعوجاج.

يقول الله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ... ﴾ [البقرة: ٢].

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ... ﴾ [الزمر: ٢٨].

﴿ ...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

* والقرآن هو آخر الكتب وخاتمها وأكملها وهو المهيمن عليها فهو شاهد وأمين وحاكم عليها كلها وهو مصدق لما جاء فيها من خبر نزوله على أحمد ﷺ. وهو فى اللوح المحفوظ عظيم مجيد موقر محكم محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل والتغيير.

يقول الله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

* وفى القرآن آيات محكمات وآخر متشابهات.

يقول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ [آل عمران: ٧].

والآيات المحكمات آيات بينات واضحة الدلالات لا التباس فيها مثل آيات التحليل والتحريم والوعد والوعيد والثواب والعقاب والقصص والأمثال والفرائض والحدود.

والآيات المتشابهات هى آيات فيها اشتباه على بعض الناس فى الدلالات. فليحذر هؤلاء الناس من الوقوع فى الضلالة باتباع المضللين المرجفين غير المتفقهين فى الدين وليسألوا أهل الفتوى المتخصصين ليدلوهم على الآيات المحكمات.

يقول الله تعالى:

﴿... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾ [الزمر: ٥٣].

فلكى نعرف تأويل هذه الآية ونفهم معناها علينا أن نرجع إلى الآية المحكمة:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ... ﴾ [طه: ٨٢].

وإلى الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ... ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

* والقرآن كتاب أحكمت آياته فى لفظها وفصلت فى معناها وأنزل ليدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولينذر بالعذاب من خالف ويبشر بالثواب من أطاع ويبين رحمة الله وقبوله استغفار العاصى وتوبته فإن تاب واستمر على توبته متعه الله فى الدنيا وفى الآخرة يعطى كل ذى فضل فضله فمن عمل سيئة كتبت عليه سيئة ثم عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب فى الدنيا بالسيئة التى عملها بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها فى الدنيا وعوقب بها فى الآخرة أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات.

وينذر الله تعالى من يتولى عن أوامره ويكذب رسله بعذاب شديد يوم القيامة فإلى الله مرجعكم يوم القيامة وهو القادر على ما يشاء من الإحسان إلى أوليائه والانتقام من أعدائه.

يقول الله تعالى:

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [هود: ١ - ٤].

* ولخص القرآن سعى الإنسان فى سورة الليل.

أقسم الله بآيتين من آيات قدرته فى الأرض متصلتين بنشاط الإنسان وسعيه هما آية الليل حين يغشى بظلامه وآية النهار حين يتجلى بنوره وأقسم بأيتين من آيات قدرته فى سائر الأحياء متصلتين بالتكاثر وبقاء النوع هما آية الذكر وآية الأنثى. أقسم الله بهذه الآيات على أن سعى الناس وأعمالهم

مختلفة فمنهم من يعمل خيرًا ومنهم من يعمل شرًا. ومن ثم فجزاؤهم مختلف فليس الخير كالشر وليس من أعطى واتقى كمن بخل واستغنى وليس من صدق وآمن كمن كذب وتولى. فلكل جزاؤه. فمن أعطى نفسه وماله واتقى غضب الله وعذابه وصدق بالعقيدة يستحق عون الله فييسره لليسرى ليمضى فى حياته ميسرًا موفقًا فى أموره وينعم بالسكينة والسعادة فى الدنيا وبنعيم الجنة فى الآخرة. وأما من بخل بنفسه وماله واستغنى عن عبادة الله وتوحيده وكذب بدعوته ودينه فإنه يستحق أن يعسر الله عليه كل شىء فى الدنيا فيجد فى كل أمر مشقة وحرجًا ويشعر بالقلق والضيق والشقاء فى الدنيا ويلقى جزاءه فى النار فى الآخرة ولا يغنى عنه ماله إذا مات وتردى فيها.

يقول الله تعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١ - ٢١].

روت السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ: «... ما خُيرٌ بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم».

قال رسول الله ﷺ:

«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه».

«يسروا ولا تعسروا».

«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

يقول الله تعالى:

﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [الحج: ٧٨].

أى ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بأمر يشق عليكم إلا جعل لكم مخرجًا. وهذا من لطف الله ورأفته.

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ... ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ويقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

أى لقد سهلنا لفظ القرآن ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس. فعليكم بطاعة الله وبطاعة رسوله والتمسك بكتاب الله وبسنة رسوله وتجنبوا ما فى غيرهما من غى وضلالة. ومن غم عليه شىء فليستفت عالمًا من علماء الفتوى.

فالدين يسر والدين لله ولقد يسره الله وهدانا بالفطرة وبكتابه وبرسالة نبيه ﷺ وبسنته وبين لنا الحلال والحرام وعلى الله الهدى وله الآخرة والأولى. وقد حذرنا الله تعالى من النار التى تتسعر فيصلاها الأشقى الذى يكذب بالدعوة ويتولى عنها وسينجو منها الأتقى الذى هداه الله فآمن والتزم بالحلال وتجنب الحرام وأنفق ماله ابتغاء وجه الله دون رياء ولا استعلاء ولا طلب شكران ولسوف يرضى فى الدنيا بدينه وبربه وبقدره وينعم فى الآخرة بالجنة وبرضا الله عنه.

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى». قالوا: ومن يأبى يا رسول الله. قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى».

وقال:

«إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه».

* وعدد أجزاء القرآن ثلاثون جزءًا كل جزء مقسم إلى حزبين وكل حزب مقسم إلى أربعة أرباع. فعدد الأحزاب ستون حزبًا وعدد الأرباع مائتان وأربعون ربعًا.

وسور الرحمن والطلاق والتحريم والملك والقلم يتكون كل منها من ربع كامل، وأطول السور سورة البقرة وهى سورة مدنية عدد آياتها مائتان وست وثمانون آية وهى تزيد عن تسعة عشر ربعًا. وأقصر السور سورة الكوثر وهى مكية وعدد آياتها ثلاث آيات وسورة العصر وهى مكية وعدد آياتها ثلاث آيات وسورة النصر وهى مدنية وعدد آياتها ثلاث آيات.

obeikandl.com

ترتيب السور حسب نزولها

الترتيب	السورة	الترتيب	السورة	الترتيب	السورة	الترتيب	السورة	الترتيب	السورة
١	العلق	٢٤	عبس	٤٧	الشعراء	٧٠	النحل	٩٣	الزلزلة
٢	القلم	٢٥	القدر	٤٨	النمل	٧١	نوح	٩٤	الحديد
٣	المزمل	٢٦	الشمس	٤٩	القصص	٧٢	إبراهيم	٩٥	محمد
٤	المدثر	٢٧	البروج	٥٠	الإسراء	٧٣	الأنبياء	٩٦	الرعد
٥	الفاتحة	٢٨	التين	٥١	يونس	٧٤	المؤمنون	٩٧	الرحمن
٦	المسد	٢٩	قريش	٥٢	هود	٧٥	السجدة	٩٨	الإنسان
٧	التكوير	٣٠	القارعة	٥٣	يوسف	٧٦	الطور	٩٩	الطلاق
٨	الأعلى	٣١	القيامة	٥٤	الحجر	٧٧	الملك	١٠٠	البينة
٩٠	الليل	٣٢	الهمزة	٥٥	الأنعام	٧٨	الحاقة	١٠١	الحشر
١٠	الفجر	٣٣	المرسلات	٥٦	الصافات	٧٩	المعارج	١٠٢	النور
١١	الضحي	٣٤	ق	٥٧	لقمان	٨٠	النبأ	١٠٣	الحج
١٢	الشرح	٣٥	البلد	٥٨	سبأ	٨١	النازعات	١٠٤	المنافقون
١٣	العصر	٣٦	الطارق	٥٩	الزمر	٨٢	الإنفطار	١٠٥	المجادلة
١٤	العاديات	٣٧	القمر	٦٠	غافر	٨٣	الانشقاق	١٠٦	الحجرات
١٥	الكوثر	٣٨	ص	٦١	فصلت	٨٤	الروم	١٠٧	التحريم
١٦	التكاثر	٣٩	الأعراف	٦٢	الشورى	٨٥	العنكبوت	١٠٨	التغابن
١٧	الماعون	٤٠	الجن	٦٣	الزخرف	٨٦	المطففين	١٠٩	الصف
١٨	الكافرون	٤١	يس	٦٤	الدخان	٨٧	البقرة	١١٠	الجمعة
١٩	الفيل	٤٢	الفرقان	٦٥	الجاثية	٨٨	الأنفال	١١١	الفتح
٢٠	الفلق	٤٣	فاطر	٦٦	الأحقاف	٨٩	آل عمران	١١٢	المائدة
٢١	الناس	٤٤	مريم	٦٧	الذاريات	٩٠	الأحزاب	١١٣	التوبة
٢٢	الإخلاص	٤٥	طه	٦٨	الغاشية	٩١	الممتحنة	١١٤	النصر
٢٣	النجم	٤٦	الواقعة	٦٩	الكهف	٩٢	النساء		

ترتيب السور حسب عدد آياتها*

الترتيب	السورة	عدد أياتها
١	البقرة	٢٨٦
٢	الشعراء	٢٢٧
٣	الأعراف	٢٠٦
٤	آل عمران	٢٠٠
٥	الصافات	١٨٢
٦	النساء	١٧٦
٧	الأنعام	١٦٥
٨	طه	١٣٥
٩	التوبة	١٢٩
١٠	النحل	١٢٨
١١	هود	١٢٣
١٢	المائدة	١٢٠
١٣	المؤمنون	١١٨
١٤	الأنبياء	١١٢
١٥	الإسراء	١١١
١٦	يوسف	١١١
١٧	الكهف	١١٠
١٨	يونس	١٠٩
١٩	الحجر	٩٩
٢٠	مريم	٩٨
٢١	الواقعة	٩٦
٢٢	النمل	٩٣
٢٣	الزخرف	٨٩
٢٤	ص	٨٨
٢٥	القصص	٨٨
٢٦	غافر	٨٥
٢٧	يس	٨٣
٢٨	الرحمن	٧٨
٢٩	الحج	٧٨
٣٠	الفرقان	٧٧
٣١	الزمر	٧٥
٣٢	الأنفال	٧٥
٣٣	الأحزاب	٧٣
٣٤	العنكبوت	٦٩
٣٥	النور	٦٤
٣٦	النجم	٦٢
٣٧	الذاريات	٦٠
٣٨	الروم	٦٠
٣٩	الدخان	٥٩
٤٠	المدثر	٥٦
٤١	القمر	٥٥
٤٢	سبأ	٥٤
٤٣	فصلت	٥٤
٤٤	الشورى	٥٣
٤٥	القلم	٥٢
٤٦	إبراهيم	٥٢
٤٧	الحاقة	٥٢
٤٨	المرسلات	٥٠
٤٩	الطور	٤٩
٥٠	النازعات	٤٦
٥١	ق	٤٥
٥٢	فاطر	٤٥
٥٣	المعارج	٤٤
٥٤	الرعد	٤٣
٥٥	عبس	٤٢
٥٦	القيامة	٤٠
٥٧	النبأ	٤٠
٥٨	محمد	٣٨
٥٩	الجاثية	٣٧
٦٠	المطففين	٣٦
٦١	الأحقاف	٣٥
٦٢	لقمان	٣٤
٦٣	الإنسان	٣١
٦٤	الفجر	٣٠
٦٥	السجدة	٣٠
٦٦	الملك	٣٠
٦٧	التكوير	٢٩
٦٨	الحديد	٢٩
٦٩	الفتح	٢٩
٧٠	الجن	٢٨
٧١	نوح	٢٨
٧٢	الغاشية	٢٦
٧٣	الإنشقاق	٢٥
٧٤	الحشر	٢٤
٧٥	البروج	٢٢
٧٦	المجادلة	٢٢
٧٧	الليل	٢١
٧٨	المزمل	٢٠
٧٩	البلد	٢٠
٨٠	العلق	١٩
٨١	الأعلى	١٩
٨٢	الانفطار	١٩
٨٣	الحجرات	١٨
٨٤	التغابن	١٨
٨٥	الطارق	١٧
٨٦	الشمس	١٥
٨٧	الصف	١٤
٨٨	الممتحنة	١٣
٨٩	الطلاق	١٢
٩٠	التحريم	١٢
٩١	الضحى	١١
٩٢	العاديات	١١
٩٣	القارعة	١١
٩٤	المنافقون	١١
٩٥	الجمعة	١١
٩٦	الهمزة	٩
٩٧	الشرح	٨
٩٨	التكاثر	٨
٩٩	التين	٨
١٠٠	الزلزلة	٨
١٠١	البينة	٨
١٠٢	الفاتحة	٧
١٠٣	الماعون	٧
١٠٤	الكافرون	٦
١٠٥	الناس	٦
١٠٦	المسد	٥
١٠٧	الفيل	٥
١٠٨	الفلق	٥
١٠٩	القدر	٥
١١٠	الإخلاص	٤
١١١	قريش	٤
١١٢	العصر	٣
١١٣	الكوثر	٣
١١٤	النصر	٣

* إذا تساوت أكثر من سورة فى عدد الآيات قدمت السورة الأسبق نزولاً

وصف القرآن

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ:

«عليكم بكتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم. هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه. من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به أفلح ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم».

* والقرآن له طابع علوى في بنائه التعبيرى وتنسيقه الفنى وإيقاعه ووقعه ودقته وبراعته وبلاغته وفصاحته وجزالته وحلاوته وطلاوته.

والقرآن منهاج متكامل فيه العبادات والمعاملات والأحكام والحدود وكل ما ينظم حركة الحياة فى إطار توحيد العبودية لله الواحد الأحد. وهو يهدى المسلم إلى الفطرة ويقوى إيمانه ويشرح صدره ويجلى بصيرته ويطهر قلبه ويحضه على طاعة الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وصلة الرحم وبر الوالدين وعمل الصالحات وينهاه عن الفحشاء والمنكر والبغى وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ويحفظه من هوى النفس ونزغات الشيطان ويوفر له الأمن والسكينة والسلام.

* وطوبى لمن يتفتح قلبه للقرآن ويخر خاشعًا لله. فإن القلوب ينبغى أن تخشع وتتصدع من خشية الله عند سماعها القرآن لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد كما تخشع الجبال الصم وتتصدع من خوف الله عز وجل إذا ما أنزل عليها القرآن. ولو كان كتاب من الكتب التى نزلت تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض أو تكلم به الموتى فى قبورها لكان هذا القرآن دون غيره هو الذى يفعل ذلك لما فيه من إعجاز. ومع ذلك يكفر به الكافرون.

والأمر لله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضلل الله فلا هادى له ومن يهد الله فما له من مضل.

يقول الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾ [الحشر: ٢١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ [الرعد: ٣١].

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمر بالمدينة ليلا كعادته لتفقد أحوال الناس فإذا به يسمع رجلا يصلى ويقرأ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ١ - ٨].

فقال رضى الله عنه: قسم ورب الكعبة حق. وعاد إلى منزله متصدعًا خوفًا وخشية ولازم الفراش فترة لا يدرى علته أحد إلا الله.

* والإيمان بالقرآن ركن من أركان الإيمان.

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ويصف الله القرآن بقوله تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فهل أنت عندما تتلو آيات الوعد والوعيد أو تستمع إليها يقشعر جلدك خوفًا من الله ثم يلين جلدك وقلبك إلى ذكر الله طمعًا فى رحمته ومغفرته.

إن لم تكن كذلك فإنك لم تتدبر الآيات ولم تستشعرها بقلبك ولم تبلغ مرتبة الأبرار الذين تقشعر جلودهم من الخشية والخوف من الله عند سماع وعده ووعيده ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله عندما يأملون فى رحمته ولطفه. وللقرآن أسماء وصفات كثيرة.

***القرآن:**

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

*** الفرقان:**

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وسماه الله الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

*** الوحى:**

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

إنه ليس مفترى إنما هو وحى يوحى به إلى رسول الله ﷺ من الله عز وجل.

*** الكتاب:**

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

*** الحق:**

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

فلا يستوى من يؤمن بالقرآن الحق فيتبع ما جاء به ومن هو أعمى لا يؤمن به ولا يتبع ما جاء به فإنما يتعظ أولو الألباب أولئك لهم عقبى الدار والذين لا يتعظون لهم اللعنة ولهم سوء الدار.

* **الروح:**

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن روح من أمر الرحمن. نور يهدى به من يشاء من عباده.

* **العلى:**

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

يصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه على ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل.

* **المبارك:**

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وصف الله القرآن بالبركة لمن يتدبره ويتعظ به ويعمل به فالعبرة بالتمسك به لا بمجرد تلاوته وحفظه دون الالتزام بما أمر به وتجنب ما نهى عنه.

* **المجيد:**

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

مجد الله القرآن وعظمه فوصفه بأنه مجيد عظيم كريم.

* **الكريم:**

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].

ما أكرمه فى عطائه. فيه نور وفيه هدى وفيه رحمة وفيه شفاء. يمد يده ليهدى الضال إلى الصراط المستقيم وليغمر المهتدى بالأمن والسكينة.

فهو حبل الله المتين خير زاد فى الدنيا وشفيع فى الآخرة. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

* **العظيم:**

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

ما أعظمه فإنه يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ويذكرهم بآيات الله

وآلائه وبالبعث والحساب ويعظهم بالقصص ويأمرهم بالصلاة والزكاة والصيام ويبين لهم المعاملات والأحوال الشخصية والعقوبات الشرعية ويدعوهم إلى صدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء وينهاهم عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات.

*** العزيز:**

﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

هو كتاب عزيز منيع منزل من رب العالمين لا يأتى أحد بمثله وليس للبطلان إليه سبيل.

*** الحكيم:**

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢].

فهو محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

*** النور:**

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا...﴾ [التغابن: ٨].

سماه الله النور لأنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

*** الذكر:**

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧ - ٢٩].

فالقرآن الكريم ذكر للعالمين فى كل مكان وزمان يذكرهم ويعظهم ويبين لهم طريق الهداية ولهم حرية الاختيار فمن شاء استقام على الطريق ومن شاء انحرف عنه ومشيئتهم طرف من مشيئة الله فى هدايتهم إلى اختيار الطريق.

قال أبو جهل: «الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم».

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

* **الهدى:**

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

هو هدى لقلوب العباد المتقين الذين آمنوا به وصدقوه وعملوا بما جاء به من الله عز وجل.

* **الرحمة:**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان: ١ - ٥].

هذا القرآن هدى ورحمة للمحسنين الذين هم على بصيرة وهدى من ربهم فأحسنوا العمل بما جاء به وأقاموا الصلاة حق إقامة وآتوا الزكاة إلى مستحقيها وأيقنوا بالبعث والحساب والجزاء فى الدار الآخرة فكانوا من المفحلين الذين يرحمهم الله فى الدنيا وفى الآخرة.

* **الشفاء:**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

إن الهدى والرحمة والشفاء من القلق والحيرة والضيق، والوقاية من هوى النفس ونزعات الشيطان إنما هو للمؤمنين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان الصادق المصدقين بالكتاب المتمسكين به المتعظين بمواعظه العاملين بما جاء به. أما الذين لا يؤمنون به ففى آذانهم وقر لا يفهمون ما فيه وهو عليهم عمى لا يهتدون إلى ما فيه.

* **البشرى:**

﴿طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ١ - ٣]:

القرآن الكريم هدى وبشرى. وإنما تحصل الهداية والبشارة بالجنة لمن آمن به وصدقه وتمسك به وعمل بما فيه وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأيقن بالبعث والحساب والجزاء والجنة والنار. أما الذين لا يؤمنون بالكتاب ولا يؤمنون بالآخرة فإنهم يتيهون فى ضلالهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة سوء العذاب.

قال رسول الله ﷺ:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتى».

*** الموعظة:**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨].

القرآن الكريم موعظة ففيه زجر ونهى عن ارتكاب المحارم والفواحش والمآثم وفيه خبر الأمم الأقدمين وكيف كانت العاقبة للمؤمنين والدائرة على الكافرين المكذبين.

*** البصائر:**

﴿... هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

إن القرآن بصائر من الله للناس فهو أعظم المعجزات وفيه حجج وبينات وآيات وبيان بالآلاء وفيه مواعظ من قصص الأنبياء. فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها.

*** التذكرة:**

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨].

إن القرآن تذكرة للمتقين يتعظون بما فيه من موعظة وينتفعون بما فيه من هداية ويتذكرون به الحلال فيعملوه والحرام فيجتنبوه ويخشون ربهم وعلى

ربهم يتوكلون. فمن شاء اهتدى به واتخذ إلى ربه سبيلاً ومن شاء أعرض عنه ونأى بجانبه.

* النذير:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

إن القرآن الكريم نذير ينذر الناس يوم الحشر يوم لا يخفى على الله منهم شيء فتجزى كل نفس ما كسبت لعلهم يتقون. فهو نذير للعالمين أجمعين إلى يوم الدين.

قال رسول الله ﷺ:

«من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى ﷺ وكلمه».

«بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله».

* البينة:

﴿... فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

البينة هى القرآن لكريم فيه بيان للحلال والحرام هدى لما فى قلوب الناس وفيه رحمة لمن يتبع هداه أما من كذب بآيات الله وصد الناس عنها فما أظلمه سيجزيه الله سوء العذاب.

* التبيان لكل شيء:

﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

إن القرآن العظيم تبيان لكل شيء ففيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام وهو يبين للناس ما هم محتاجون إليه فى أمر دينهم ودنياهم.

* المبين:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢]. [القصص: ٢].

الكتاب المبين أى الكتاب البين الواضح الجلى الألفاظ والمعانى لمن يتأمله ويتدبره فهو مبين يفصل بين الحق والباطل والغى والرشد ويكشف عن حقائق الأمور فيما قد كان وفيما هو كائن ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد.

*** المصدق:**

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ [الأنعام: ٩٢].

مصدق الذى بين يديه أى مصدق لما قبله من الكتب المتقدمة المنزلة قبله من السماء على الأنبياء ومصدق لما بشرت به من وعد الله تعالى بإرسال سيدنا محمد ﷺ وتنزيل القرآن الكريم عليه.

*** المهيمن:**

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٤٨].

ومهيمنا عليه أى شهيدًا وأمينًا عليه وحاكمًا عليه فالقرآن الحكيم شهيد وأمين وحاكم على ما نزل قبله من الكتب فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل فالقرآن هو آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأكملها وقد نزله الله تعالى على رسوله ﷺ ليظهر دين الحق على الدين كله.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ليظهره على الدين كله أى ليظهره على سائر الأديان.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها».

*** المكنون:**

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩].

مكنون أى محفوظ معظم موقر فى اللوح المحفوظ فى السماء العلى لا يمسه إلا الملائكة.

* المحفوظ:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

هو فى اللوح المحفوظ محفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقص.

* عربى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربى فصيح مبين جلى واضح لا لبس فيه ولا عى.

قال ابن كثير: (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعانى التى تقوم النفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض وبدئ إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه).

* غير ذى عوج:

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

أى واضح جلى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس فهو من لدن حكيم عليم خبير. ﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ...﴾ [فصلت: ٤٢].

* التنزيل:

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠].

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

فهو ليس سحرًا ولا كهانة ولا شعرًا بل هو حق لا مرية ولا شك فيه

ليس للبطلان إليه سبيل فهو تنزيل من الرحمن الرحيم رب العالمين.

* وللقرآن إيقاعات تختلف حسب مقتضى الحال فتكون شديدة قوية إذا تطلب الحال الشدة والقوة وتكون ناعمة رقيقة إذا تطلب الحال النعومة والرقة.

فللوعد إيقاع وللوعيد إيقاع ولوصف الجنة إيقاع ولوصف النار إيقاع وللنعيم إيقاع وللعذاب إيقاع وللحديث عن الكفار إيقاع وللحديث عن المؤمنين إيقاع. ولكل إيقاع موسيقا ومذاق وتأثير وجمال فنى. ولكل إيقاع ضوابط من القوافى والوقف والوصل والمد والإظهار والإدغام والإخفاء والإقلاب والإشمام وله أوزان ليست بأوزان الشعر ولا أوزان السجع وإنما له طابع خاص مميز عن طابع إيقاعات وأوزان كلام البشر.

هذا إيقاع قوى شديد:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ١١ - ٣٠].

وهذا إيقاع ناعم رقيق:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

* والقرآن بليغ فى عرض القصص والقواعد بإيجاز فى بضع آيات دون

أن تصاب القصة أو القاعدة بقصور فى توضيح المدلول وتحقيق الغاية.

قصة نوح عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥].

قصة شعيب عليه السلام:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٦، ٣٧].

قصة ثمود:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [الشمس: ١١ - ١٥].

قصة لوط عليه السلام:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨٤].

قصة أصحاب الفيل:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

جامعة العقيدة:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

جامعة العمل والجزاء:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣].

البراءة من الشرك:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

البراءة من الغفلة:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ١ - ٨].

جامعة البر:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* ومن أمثلة الإيجاز والإضمار والإبهام والتقديم والتأخير فى القرآن:

الإيجاز:

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا...﴾ [يوسف: ٨٢].

أى واسأل أهل القرية التى كنا فيها وأصحاب العير التى أقبلنا فيها.

الإضمار:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

أى وما أرسلنا فى قرية من نبي فكذب أهلها إلا أخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يضرعون.

التقديم:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ [يوسف: ٢٤].

أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

التأخير:

﴿... يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا...﴾ [الأعراف: ١٨٧].

أى يسألونك عنها كأنك حفى بها.

الإبهام فى الحروف:

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: ٤، ٥].

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ...﴾ [الأعراف: ٥٧].

به الأولى أي بالحوافر وبه الثانية أى بالإغارة وبه الثالثة أى بالسحاب وبه الرابعة أى بالماء.

الإبهام فى الكلمات:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا...﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ...﴾ [الزخرف: ٢٢].

﴿... وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ...﴾ [القصص: ٢٣].

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾ [يوسف: ٤٥].

أمة الأولى أى جامعا للخير ويقتدى به وأمة الثانية أى دين وأمة الثالثة أى جماعة وأمة الرابعة أى حين.

* ومن أمثلة الوعد والوعيد والأوامر والنواهى فى القرآن:

الوعد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

الوعيد:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿... وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

أوامر فرض عين:

﴿... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ [المزمل: ٢٠].

أوامر فرض كفاية:

﴿... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ...﴾ [التوبة: ١٠٣].

أوامر ندب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

النواهى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ...﴾ [الإسراء: ٣٢].

معجزة القرآن (١)

القرآن معجزة قائمة دائمة مستمرة إلى يوم الدين. أما ما سبقه من المعجزات للأولين فكانت خوارق للنواميس الكونية مفعولها قاصر على من شاهدوها فى مكانها وزمانها. وقد شاهدوها وكذبوها وحق عليهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة. أما أمة محمد ﷺ فرحمة بها وإكراما لها ولرسولها جنبها الله هذا المصير فلم يرسل لها الخوارق تخويفًا وخاطب عقولهم وقلوبهم.

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

والقرآن الكريم يخاطب العقول والقلوب فى كل مكان وفى كل زمان فلا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء.

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وفى بلاغة القرآن إعجاز فهو من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ... ﴾ [الزمر: ٢٨].

﴿ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ويعجز أهل البلاغة من الإنس والجن أن يأتوا بمثله. فالقرآن له طابع علوى فى بنائه التعبيرى وتنسيقه الفنى وإيقاعه ووقعه وقوة تأثيره وإيجازه ودقته فى تصوير المشاهد وعرض القصص. وهو كنز خالد من المعرفة يتحدى علم الإنسان المحدود فيكشف له بين الحين والحين عن أسرار خفيت عليه من قرون ويتحدى أن يبدله أو يأتى بمثله أحد من العالمين.

---

(١) من كتاب مشاهد من السيرة النبوية للمؤلف.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ... ﴾ [يونس: ٣٧].

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد قام القرآن بدور هام فى مكة ثم فى المدينة ويقوم بدور مستمر إلى يوم الدين. ففى مكة كانت مهمته الأساسية بناء العقيدة وتوحيد الله.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ودعا إلى اتباع الحكمة والموعظة الحسنة فى الدعوة إلى سبيل الله.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]

وذكر المشركين بنعم الله وفضله عليهم.

﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ١ - ٤].

وكان أهل مكة عندما نزل القرآن يعبدون الأصنام ولم يسلم مع النبى ﷺ سوى عدد قليل معظمهم من الفقراء المستضعفين الذين يحيط بهم من كل جانب جم غفير من المشركين ذوى النفوذ والعصبية والقوة والجاه والمال الذين كذبوا وتصدوا لهم وللنبى ﷺ وآذوهم واعتدوا عليهم فتصدى لهم الله بما أنزله فى كتابه الكريم فكان للقرآن جولات على المشركين يتصدى فيها لمزاعمهم:

﴿... قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

ويتحداهم:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١، ٧٢]..

وينذرهم أن يحل بهم ما حل بالأمم الغابرة:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم: ٥٠ - ٥٦].

ويذكرهم بما أصاب أصحاب الفيل وهو أمر قد عاصروه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ - ٥].

ويسفع المكذب بالدين بالناصية ويسمه على الخرطوم ويلقيه فى جهنم:

﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦].

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨].

﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة: ٤ - ٦]

ويوعد أبا لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) عدو الله بالهلاك:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ١ - ٥].

ويؤازر القرآن المسلمين فى أوقات الشدة: فى فترة مقاطعة قريش لهم وفى عام الحزن بعد موت السيدة خديجة وأبى طالب. ففى فترة المقاطعة نزلت سور الواقعة والشعراء والنمل. وفى عام الحزن نزلت يونس وهود. وبالرجوع إلى هذه السور وتلاوتها نشهد الدور الكبير للقرآن الكريم.

ويسلى القرآن النبى ﷺ:

﴿نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ١ - ٤].

ويعد الكافرين عذابًا قريبًا:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ٧، ٨].

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣، ٦٤].

ولما قامت دولة الإسلام فى المدينة كانت فى أول الأمر تواجه أعداءها من المشركين واليهود والمنافقين. كان المشركون حولها من كل جانب وكانت اليهود والمنافقون فى داخلها وبين جنباتها فركز القرآن حملته على اليهود والمنافقين. وبالرجوع إلى صدر سورة البقرة وإلى قصتى موسى وعيسي عليهما السلام نشهد هذا الدور الكبير للقرآن الكريم.

وكان لزاما على المسلمين أن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وكان لزاما على المسلمين أن يجاهدوا ويدافعوا عن هذه الرسالة وقد وعدهم الله أن يمكن لهم دينهم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وكان لزاما على المسلمين أن يستمروا فى الدعوة إلى الله لنشر دين الله وجعل كلمة الله هى العليا. وكان لزاما عليهم إرساء قواعد لتنظيم هذا المجتمع الإسلامى ووضع الأحكام والقوانين التى يسيرعليها فأنزل الله تعالى فى كتابه الكريم آيات يواجه بها المشركين وآيات يفند بها مزاعم اليهود وآيات يفضح بها المنافقين وآيات يحث بها المسلمين على الجهاد وآيات يأمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى عمل الصالحات وآيات يرسى بها دعائم

الإسلام من العبادات والمعاملات وآيات يقنن بها شريعة الله وأحكامه لتكون دستورًا للمجتمع فى الأمة الإسلامية إلى يوم الدين.

فالقرآن منهج متكامل للحياة فيه العقيدة والعبادات والمعاملات والأحكام والحدود وكل ما ينظم حركة الحياة فى إطار توحيد العبودية لله. وهو زاد المسلم وسبيل السلام فى كل حال وفى كل مكان وفى كل زمان يهديه إلى الفطرة ويلهمه الخير ويوقظ ضميره وينبه قلبه وينير عقله ويجلى بصيرته ويقوى إيمانه وعقيدته ويزكى نفسه ويطهر باطنه ويوثق أواصره بمن حوله ويسوى سلوكه ويطيب مأكله ويحفزه على العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصلة الرحم وبر الوالدين والإحسان إلى الجار والإنفاق والجهاد فى سبيل الله ويحثه على حسن معاملة اليتيم وعلى إيتاء المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

والقرآن يشرح صدر المؤمن ويوفر له مناخًا طيبًا من الأمن والسكينة والمودة والرحمة والسلام ويبين له الحلال والحرام ويهديه إلى الصراط المستقيم وينهاه عن الفحشاء والمنكر والبغى ويحفظه من هوى النفس ويحميه من نزغات الشيطان ويجنبه الشرك الخفى.

وهذه المهام الجسام تقتضى أن ينزل القرآن على رسول الله ﷺ منجمًا مفرقًا.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

قال رسول الله ﷺ:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتى».

وقد نزلت الكتب السماوية على الرسل جملة واحدة أما القرآن فإن الله أنزله إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرقه على دفعات على رسول الله ﷺ فى ثنتين وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يومًا. وكان ترتيب الآيات فى السور بتوقيف من رسول الله ﷺ موحى إليه به. فكان جبريل عليه السلام

يعرض على النبى ﷺ فى شهر رمضان من كل عام جملة ما سبق نزوله مرتبًا حتى تم نزول القرآن كله فعرضه جبريل عليه السلام على النبى ﷺ كاملاً ومرتبًا فى عرضتين.

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

فنزل القرآن مفرقًا مسايرًا أحداث مرحلة بناء العقيدة بمكة ومرحلة بناء الدولة الإسلامية بالمدينة حدثًا حدثًا يومًا بيوم. فكل أمر وكل نهى وكل بشارة وكل نذير وكل نبأ وكل مثل وكل قصة فى القرآن الكريم إنما نزلت لمواجهة واقعة جزئية فيعطى الله حكمه فيها أو يبشر أصحابها أو ينذرهم أو يعظهم حسب مقتضيات الأحوال. وإذا ما أعطى الله حكمه فإنه يربطه بمبدأ عام ويربط الأمر كله بالله سبحانه وتعالى فيصبح قاعدة إيمانية يعمل بها فى كل مكان وفى كل زمان ويؤخذ بخصوص سبب الواقعة وعموم لفظ النص القرآنى الذى تناولها حسب مقتضى الحال.

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

«عليكم بكتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم. وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه. من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به أفلح ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

وإن للقرآن لسلطانًا قويًا على القلوب فهو يخاطبها ويمسها ويهزها ويتغلغل فيها ويوقظها من ثباتها ويجلى رينها. والمؤمن إذا ما تلا القرآن حق تلاوته بخشوع وتدبر لا يجد فى صدره ضيقًا ولا قلقًا ولا حرجًا ولا يجد فى نفسه داء ولا مرضًا فينعم براحة وأمن وسكينة وهدوء وصفاء وسعادة وسلام.

وهذه أمثلة لوقع القرآن على القلوب:

* جعل أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق يتسللون خفية إلى بيت رسول الله ﷺ لسماعه.

* وجعل عتبة بن أبى ربيعة يقول والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

* وجعل الوليد بن المغيرة يقول إن لقوله لطلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجناة.

* وجعل قيس بن عاصم المنقرى يسلم عند سماعه سورة الرحمن ويقول لرسول الله ﷺ والله إن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة وإن أسفله لغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

* وجعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسلم عند سماعه آيات من سورة طه.

* وجعل روميا يسلم عند سماعه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

* وجعل وفد الحبشة يسلم عند سماعهم سورة يس.

* وجعل الجن يسلمون عند سماعهم آيات من الذكر الحكيم.

﴿... فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

* وجعل عامر بن ربيعة يتخلى عن أرض وهبت له عند سماعه.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

القرآن كتاب الشريعة الإسلامية

* لم يرد فى أسماء القرآن ما يشير إلى أنه كتاب علمى كما يزعم من يحاول تطويع نص من نصوصه لنظرية علمية أو العكس ظانًا أنه بذلك يضيف إلى الكتاب مجدًا بل هو ينتقص من قدره فهوكتاب مجيد غنى عن كل تمجيد. وهو حق وصدق أما النظرية فإنها لا ترقى إلى مرتبة الحقيقة العلمية الثابتة. وهى متغيرة قد تنقضها نظرية أخرى تأتى بعدها.

* وبعض النظريات تخالف العقيدة الإسلامية مثل تلك التى تدعى أن المخلوقات قد جاءت فلتة عارضة وأن الإنسان انحدر من سلالات من الحيوان وأن الدين بدأ بتعدد الآلهة ثم انتهى إلى التوحيد وأن الإنسان الأول كان يجهل اللغة وأنه بدأ عمله بحرفة الصيد ثم انتقل إلى حرفة الرعى ثم حرفة الزراعة.

* والثابت أن الإنسان عندما يصل إلى بعض الحقائق العلمية يكتشف أن بالقرآن نصًا قد أشار إليها. وهذا أمر صحيح فهو لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه إلى يوم الدين. ولكن معظم هذه الإشارات قد وردت مبهمة من خلال عرض آيات الله فى الكون والخلائق دون أن يكون القصد منها أن تكون مادة علمية وإلا لوردت صريحة غير مبهمة. وإن وردت صريحة لقوبلت بالتكذيب كما كذبت الكنيسة دوران الأرض.

* وبعض هذه الإشارات وردت صريحة وآمن بها المسلمون قبل اكتشافها معمليًا فى العلم التطبيقى مثل خلق الإنسان من طين لأنهم يؤمنون أن القرآن حق وصدق. وظلت هذه الحقيقة تجوب الكون وهى مطوية عن العلم التطبيقى. كانت فى علم الخالق وعلمه جل شأنه أزلى منزه عن الزمان ثم سجلت فى أم الكتاب ثم خلق الله الأرض ثم أخبر الملائكة أنه خالق بشراً من طين ثم خلقه ثم أنزل القرآن إلى بيت العزة ثم نزل على جبريل عليه السلام ثم على قلب رسول الله ﷺ ثم عرض ما نزل فى رمضان من كل عام ثم عرض عرضتين فى ذى الحجة من العام العاشر الهجرى.

وظل المسلمون يقرءون آيات خلق الإنسان من طين عدة قرون إلى أن آن ميلادها فى معمل العلم التطبيقى الذى شاء الله جل شأنه أن يعلنه فاكتشف العلماء أن عناصر الجسم البشرى هى نفس عناصر الطين. فكان العلم الدنيوى متأخرًا عن العلم الدينى عدة قرون.

* وبعض هذه الإشارات وردت صريحة غير مبهمة وآمن بها المسلمون ولكن العلم الدنيوى لم يكتشفها بعد مثل السماوات السبع والأرضين السبع فهى حق وصدق ولكن ميلادها العلمى التطبيقى لم يحن بعد.

* ومن أمثلة الإشارات المبهمة التى ظلت تطوى حقائق علمية إلى أن حان ميلادها بعد حين من الدهر فكشفها الله للإنسان واكتشف أن بعض الآيات القرآنية قد أشارت إليها... الإشارات إلى كروية الأرض واختلاف الليل والنهار وحركات الشمس والقمر والرياح اللواقح وضيق الصدر عند الصعود ووقوع مراكز الحس فى الجلد.

والأمثلة كثيرة جدًا.

يقول الله تعالى:

﴿... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ [الزمر: ٥].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢١، ٢٢].

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

* ومن الحقائق ما علمها الله بعض عباده الصالحين مثل: تسبيح الجبال والطير ومنطق الطير والنمل وتسخير الريح والجن.

﴿... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ [سبأ: ١٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٨، ١٩].

فمن منا يبلغ مرتبة هذا الرضا العظيم فيعلمه الله تسبيح الجبال والطير ومنطق الطير والنمل ويسخر له الريح والجن.

* ومن الحقائق ما هو غيب لا يعلمه إلا الله ولا يخص به غيره مثل الروح والساعة والموت.

يقول الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]..

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ..﴾ [الأنعام: ٥٩].

* أفنسمى القرآن كتاب النبات لأنه قد ورد به ذكر النبات والحدائق والأشجار والفاكهة والنخيل والرمان والأعناب والريحان والزيتون والبقل والقثاء والفوم والعدس والبصل.

أفنسميه كتاب الحيوان لأنه قد ورد به ذكر الإبل والبقر والأغنام والمعز والخيل والحمير والفيلة والأسود والذئاب والكلاب والخنازير والقردة والحيتان.

أفنسميه كتاب الطيور لأنه قد ورد به ذكر الطيور والهدهد والغراب والسلوى.

أفنسميه كتاب الحشرات لأنه قد ورد به ذكر النمل والجراد والذباب والفراش والعنكبوت والقمل ودابة الأرض (الأرضة).

أفنسميه كتاب الفلك لأنه قد ورد به ذكر السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب والبروج.

أفنسميه كتاب الجغرافية لأنه قد ورد به ذكر الجبال والأودية والسهول والمراعى والبحار والأنهار والسواحل والبرازخ والرياح والأمطار والعيون والينابيع والشتاء والصيف والليل والنهار.

أفنسميه كتاب الغذاء لأنه قد ورد به ذكر اللحم والخبز والدهن والزيت والشراب واللبن والعسل والثمار والفاكهة والحب والبقول.

أفنسميه كتاب الحلى لأنه قد ورد به ذكر الأساور والذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والمرجان.

إن من يفعل ذلك لم يتدبر القرآن ولم يخشع قلبه ولم يع مفهوم أسماء القرآن: العلى الروح الحق المبارك المجيد الكريم العظيم العزيز الحكيم النور الذكر الهدى الرحمة الشفاء البشرى الموعظة البصائر التذكرة البينة النذير المبين المصدق المهيمن...

يقول الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾ [الحشر: ٢١].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وهذا هو الوصف الجامع للقرآن الكريم.

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم: ١ - ٣].

فالقرآن كتاب شريعة فيه هدى ونور ورحمة للعالمين وما ورد به من ذكر للنبات والحيوان والطيور والحشرات وغير ذلك من مخلوقات الله قد جاء كأمثلة لآلاء الله. وإنما هو يتضمن علوم الدين وأحكام الشريعة.

obeikandl.com